

ولادة مرحلة جديدة للامة

أيها الرفاق المناضلون

ويا أبناء امتنا المجاهدة

تأتي هذه المناسبة كل سنة لتذكر البعثيين بالدور القومي الذي أضطلعوا به منذ أكثر من أربعة عقود من السنين . فقد كان التصور الذي أنطلق منه الحزب هو ان المجتمع العربي بحاجة الى انقلاب عميق شامل في كل نواحي الحياة، وان الامة العربية مهيأة للتجاوب مع هذا الانقلاب، ولانبعاث قومي اصيل، يستلهم ثورة الاسلام الخالدة، ويستوعب روح العصر وشروط التقدم الحديث .

وجاءت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ مصداقاً لنظرة البعث الانقلابية . وبدا واضحاً ان الامة العربية أصبحت مهلدة في وجودها، اذا هي لم تجدد مجتمعها، وتحرر جماهيرها الشعبية، وتطلق قدراتها، وتبن أنسانها الجديد، بعقله الحديث المتحرر المبدع، وتوحد اجزاء وطنها في نضال واحد، في سبيل تحقيق مشروع حضاري كبير للبناء والتحرير . ولقد سعى الحزب دوماً الى ان يكون عمله مبدئياً وواقعياً في آن واحد، ان يعطي الحاضر ما يستحق من جهد واهتمام ولكن ان يخص المستقبل بأهتمام اكبر ويجهد اكثر، ان يعمل ضمن الظروف القطرية، ولكن ان تكون صورة الوحدة والامة الواحدة، حاضرة دوماً في عقله وضميره .

ولم يكن في تفكير الحزب عند نشأته، وليس في تفكيره اليوم، ان يكون الحركة

(١) كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٨٢، لمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي .

الثورية الوحيدة، بل يطمح ويسعى لان يكون الحركة الثورية العربية الاكثر شمولا ونضجاً، الحركة التي تستوعب ذاكرتها تجارب الامة العربية في حاضرها وماضيها لكي تستخلص منها ملامح طريق النهضة والثورة . . وقد كان الحزب يؤمن بأن ثمة ضرورة حياتية قاهرة، في ظل أوضاع الامة المجزأة، المتناحرة الاجزاء، المسلوبية الارادة، لان يوجد عقل يعلو على تلك الاوضاع ويستوعبها ويتجاوزها، ولان يوجد ضمير يشعر ويحكم بأسم مصلحة المجموع، ومصلحة الكيان الواحد، والمستقبل الواحد . .

كانت هذه مهمة حركة أرادت لنفسها منذ بدء تكوّننها، ان تعمل بالمقاييس التاريخية وان تمثل وحدة الامة، وتحاول تمثيل شخصية الامة الحضارية ورسالتها الانسانية . . ولذلك أمتلك البعث بعداً في النظرة وشمولا، كما أمتلك حساً للموضوعية والعدل وأخلاقية نضالية متميزة . . ونحن نؤمن بأن هذا الاهتمام القومي، المتجاوز للمكان القريب، والزمن الآتي، هو الظاهرة القومية التي ميّزت المرحلة الجديدة من تاريخ النهضة العربية، وهي الظاهرة التي كان حزب البعث، أول من عبّر عنها وجسّدتها في الفكر والنضال .

ان هذه السنين الطويلة، الحافلة بالنضال والاحداث التي انقضت على استجابة البعث لنداء المسؤولية التاريخية تستعاد في هذه الذكرى لكي يتبين البعثيون مانجحوا في تحقيقه على طريق اهدافهم الكبرى، ولكي يتأكدوا بشكل خاص هل حافظوا على روح البعث؟ هل توصلوا الى ان يفصحوا عنها الافصح الصادق العميق؟ هل أوصلوا هذه الروح الى ضمير الشعب، والى اي مدى حصل التجاوب؟ هل استطاعوا أن يخلقوا مصداقية جديدة لحركتهم، وان يخلقوا ثقة تاريخية لدى الجماهير العربية بهذه الحركة وبمستقبلها وبقدرتها على مواصلة السير وحمل أعباء النضال في سبيل الاهداف الكبرى؟ هل أستطاعت الحركة ان تطور نفسها وان تحتفظ في الوقت نفسه بسمياتها وبروحها الاصلية وطبيعتها الثورية؟

فذكرى تأسيس الحزب مناسبة تستدعي في كل عام، طرح هذه التساؤلات، ولكنها في هذا العام تأتي في ظروف متميزة عن كل ما سبق . . ظروف المعركة

القومية في العراق، التي فاقت كل التصورات فيما أفرزته من بطولات، وما فجرته من قوى كامنة في الشعب بشكل يعزز ثقة البعثيين بحزبهم وبأصالة دوره في حركة الانبعاث القومي، ويشعرهم بأنهم دخلوا مرحلة جديدة من الاقتراب، بل من الاندماج العميق بصميم الشعب، وملامسة حس الشعب التاريخي واستعداده، وتوقه الشديد الى النهضة الحضارية الاصلية. . ويأتي هذا التحول النوعي في مسيرة الحزب في وقت عصيب، تتكاثر فيه المؤامرات والهجمات العاتية على وجود الامة العربية وعلى مقومات شخصيتها واستقلال إرادتها، كما يشتد الامعان في تمزيق روابطها الروحية والحضارية، فيجد البعثيون في روح النهوض والعطاء والايامن والابداع التي خلقتها معركة العراق إيذانا بولادة مرحلة جديدة تشمل الامة كلها للرد على مؤامرات الاعداء وعدوانهم رداً لا بد ان ينتقل بالنضال العربي من حالة الدفاع المنكفيء المجزأ، الى حالة الهجوم، وتعبئة كل القوى والطاقات الشعبية عندما تستلهم روح هذه المعركة البطولية، وتسري في حنايا الجسد العربي الكبير. فالنظرة المتعمقة ترى ان معركة العراق ما كانت لتقوم، لو لم تكن متصلة بضمير الامة العربية وبروح الجماهير العربية وبحاجتها الملحة الى الخروج من حالة التداعي واليأس والعجز المتفشية في الاوضاع العربية. وان هذه المعركة ما كانت لتعطي هذا العطاء الثر وتأتلق بالنماذج البطولية الخالدة لو لم تكن ثمرة ناضجة لتجربة العراق الثورية، التي تتوج اليوم، نضال أربعة عقود من حياة البعث والتي نمت وترعرعت في جو مبادئه القومية الثورية الاصلية ومعاناته الفكرية والنضالية الصادقة.

أيها الاخوة المناضلون

يا أبناء شعبنا العربي

في تجربة العراق ومعركته اليوم، ترى الامة مرآة نهضتها، ويجد الحزب نفسه وأفكاره وخلاصة تجاربه، فقد تحقق لتجربة العراق مالم يتحقق لأية تجربة عربية من قبل. لقد أفادت من تجارب الحزب في الاقطار العربية الاخرى بنجاحاتها واخفاقاتها، كما أفادت من التجربة الثورية العربية بوجه عام، وأستجمعت الشروط الايجابية التي جعلت عملها ينسجم ويتكامل ويتحقق تحقفا يتوافق مع حركة الحياة

والتاريخ ، اي مع روح الرسالة ، لانها تجربة بعثية أصيلة ، ولان ظروف النضال وتوافر شروط القيادة التاريخية ، قد هيأت لها السبيل الى تكامل مكوناتها وأبعادها . فالركيزتان الاساسيتان للنهضة العربية المعاصرة الاصلية والحدائة متكاملتان وموحدتان في تجربة العراق ، في حين انهما مائزتان في حالة أختلال وعدم توازن ، وأحيانا في حالة تناقض في تجارب اخرى حيث القطر يعيش أزمة ما مع عروبه او تراثه او جماهيره او مبادئه ، او مع الجوهر التقدمي للنهضة المعاصرة .

وهذه الصورة الرائعة المتحققة اليوم في تجربة العراق ما كانت لتتحقق لو لم تكن ثمرة لنضج التجربة القومية ، لذلك فقد قبلت ان تحمل أعباء الامة في وقت يخيم التراجع والعجز واليأس في أجزاء عديدة من الوطن العربي ، وان تنوب فعلا عن الامة العربية ، شأن تجارب عربية في مراحل سابقة نهضت بالنيابة عن الامة . كثورة عبدالناصر وثورة الجزائر في الخمسينات ، ثم المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران ، فهي تقف اليوم لمواجهة الاخطار التي تهدد المصير العربي ، وهي تمتلك الثقة العميقة بالمبادئ وبالشعب وبالقيادة وبضمير الامة وارادتها وطاقاتها الكامنة .

اذن هاهي السنوات تمضي لتؤكد اقتراب البعث من روح الشعب . هو الذي انطلق من الايمان بهذه الروح وبأنه مطالب ، في نضاله الفكري والعملية بأن يقدم أمتحانا مستمرا أمام الشعب لكي يتأكد من صحة تعبيره عن روح الامة ، اي عن روح الحرية والثورة والاستعداد الحضاري والتطلع الانساني . فحزب البعث هو ابن الشعب العربي ، والتاريخ العربي ، والتربة العربية ، دفعه الحب للامة كما دفعه الالم مما أنتاب العرب من ضعف وأنقسام وتخلف ، الى ان يتحمل مسؤوليته القومية بمشاركة الشعب وبالتعلم منه بقدر ما يستطيع ان يعلمه ويفيده .

ونحن نشعر باليقين ، واقتناع العقل وارتياح الضمير ، ورضا التاريخ ، أمام حصيلة مسيرة الحزب النضالية ، وأمام الانجاز التاريخي الذي حققه الحزب في العراق ، والذي بلغ ذروة تألقه في هذه المعركة المباركة النابعة من أعماق وجدان الامة العربية في تمرداها على واقعها ، وتوثبها الى الوحدة والتقدم والقوة .

يأبناء امتنا الابطال

ان حالة النهوض ليست ظاهرة جديدة على المجتمع العربي . فمنذ القرن الماضي ، بدأت بوادر النهضة العربية تظهر بنسب مختلفة في أرجاء الوطن الكبير، ولكن مستوى النهوض في عراق البعث هو الظاهرة الجديدة، وهو الذي يشكل مؤشرا متميزاً لانه يكشف لأول مرة في حياة العرب المعاصرة عن مستوى تكامل البناء والنضال والانطلاق والعطاء وحالة اكتمال شروط الصحة، حالة الامتلاء والفيض وتفجّر الطاقات وتصحيح الزيف، اي مستوى الاعداد لحمل الرسالة . انه التعبير المتألق عن شخصية الانسان المنبعثة في هذا الجزء من ارض العروبة، وهو العراق الذي يعيد اليوم الى العرب الثقة بالنفس، وبالقدرة على الانتصار بل وباحتمية الانتصار على تحديات النهضة العربية .

أيها المقاتلون العراقيون الافذاذ

أيها المتطوعون العرب البواسل

ان هذه المعركة المجيدة التي تخوضونها، تحمل من المعاني الانبعاثية مالا تستوعبه اللحظة الراهنة بالرغم من كل ماتنطوي عليه هذه اللحظة من معاني البطولة وروعة الانتصار على النفس وعلى العدو، وما تستحضره من أمجاد تاريخية، وما تجدده من صلة حية بماضي الامة، وما تحقّقه من احلام المستقبل العربي ، وتضعه في قلب الحاضر من بذور حية لهذا المستقبل .

هذه المعركة البطولية ، لو لم يكن لها من فضل سوى انها فجرت بطولات رائعة خالدة، فإنها تكون قد أدت مهمتها لان جو الحياة العربية في هذه الفترة القاتمة، هو بأمس الحاجة الى البطولة، تطهره وتحرره . اذ بالبطولة يسترد الانسان العربي كل أصالته، ويعيد اتصاله بأرواح الاجداد الخالدين . كما يستطيع ان يستشرف المستقبل المشرق الذي بينه وبينه ويارادته الحرة وجهده الصادق . ولكن معركة العراق أغنى من ذلك بكثير والبطولات فيها ليست مجرد تعبير عن النخوة والرجولة وحب الارض والوطن، بل هي مشبعة بالوعي، مشعة بالايمان، محمّلة بالقيم، لانها بطولات أبناء ثورة صادقة، وشعب عريق في الحضارة، وأمة سُرفّت بالرسالة .

لقد كانت الانظار متجهة الى معركة التحرير في فلسطين ، والى محاربة حالات التخاذل ومواقف الخيانة والاستسلام ، والى البحث عن كل ما يوفر الصلابة والقوة للموقف العربي ، ويقرب من الوحدة . واذا الخطر يظهر من حيث لم يكن متوقعا ان يأتي ، وتحت غطاء براق .

لقد رحب عراق البعث بالتغيير الذي أختارته الجماهير الواسعة في ايران ، وعندما ظهر الانحراف من قبل الحكام الجدد ، واخذوا يسفرون عن الوجه التوسعي لحركتهم ، وعن روح الحقد والضغينة للقومية العربية ، ولثورة العراق القائمة على العقيدة القومية العربية ، كان أعتراض العراق هو على هذا الجانب ، وليس على الحركة كلها . وعندما بدأ هؤلاء الحكام يفصحون عن غرضهم في اسقاط حكم البعث في العراق ، لم يكن جواب العراق على هذا العداء المبيت انه يريد أسقاط حكم الخميني في ايران ، بل دفع أذى هذا الحكم عن العراق وثورته وعن العروبة ومستقبلها . فالعراق لا يمكن ان يكون البلد الذي يطمح الى التوسع على حساب ايران او غيرها ، فهو جزء من الوطن العربي الذي مازال يعاني من تحكّم السيطرة الامبريالية والاحتلال الصهيوني ، وهو اذن مطالب بأن يضطلع بقسطه الوافر من مسؤولية التحرير القومي ، فضلا عن ان المبادئ التي يعتنقها ويؤمن بها ترفض سياسة التوسع وتدينها وتحاربها . فالعراق لا يطمح في واقعه القطري والقومي الا الى كسب صداقة جيرانه ، والى ضمان احترامهم لاستقلاله وأمنه الداخلي ، حتى يتفرغ لمهمة البناء والنهوض ، ويسهم في تحرير الاراضي العربية المحتلة ، وفي واجبه المقدس في تحرير فلسطين ، ولم ينس ان اعداء الامة العربية من الاستعماريين والصهاينة كانوا يعملون على دفع ايران في عهد الشاه لكي تخلق له المتاعب الداخلية ، وتساعد التمرد في شمال العراق بكل انواع المساعدة ، وتغصب اجزاء من ارضه ومياهه .

اما حكام ايران الجدد ، فان دفاع العراق عن سيادته وأمنه وسعادة شعبه ، هو في نظرهم عدوان عليهم ، لانه حال بينهم وبين تصدير ثورتهم والسيطرة بأسمها على ارض العراق ، وتهديم انجازات أربعة عشر عاما من عمل الثورة ، وفرض انفسهم

بديلاً لها وللثورة العربية كلها، لذلك يعتبرون ان العراق هو المعتدي، فهم اذن، يتعاملون بمفاهيمهم الخاصة، للعدوان، ينطلقون من مسلمة بأن لهم حقاً في السيادة على العراق، ومنعهم من ممارسة ذلك هو العدوان في نظرهم.

فدفاع العراق هو دفاع مشروع عن الذات والامة واتجاه النهضة العربية. لكنه دفاع المؤمن برسالة، دفاع المقتدر، وليس دفاع الخائف المتردد. . انه دفاع أمام أفتراء وأدعاء باطل وحقد أعمى وعقل مغلق، أفتعل الخصومة دون مبرر حيث كان الشيء الطبيعي، اللقاء والتعاون وطيّ صفحة الماضي الاسود المليء بالاعتداءات. . هو دفاع القائد المؤمن بحق وطنه وأمته، الوثائق من نفسه ومن قيمة البناء الذي تعهده طوال سنين، ومن متانته وإتقانه، دفاع الوفي لارضه وتاريخه، المحب لشعبه، الغيور على مصلحة هذا الشعب وكرامته وعزته، دفاع العقل المنفتح الاخلاق والشخصية القيادية الشجاعة البطولية التي تدرك بالحس المرهف ماتنطوي عليه نفسية الشعب من أصالة وأستعداد عميق للنهوض، فلا تتاح فرصة الاسخرها لتربية الشعب والارتفاع بوعيه، وتعريفه بطاقاته الخبيثة وقدراته الحقيقية.

فمن يكون اذن المعتدي، ومن يكون المعتدي عليه؟ ثم بم أنتصر العراق. . هل بغير الاسلام أنتصر؟ ألم يحارب منذ اليوم الاول وحتى الان بروح الاسلام ومبادئه وقيمه السامية وذكريات قادته وأبطاله الخالدين؟ أليست روح الاسلام وقيمه واخلاقه هي روح العروبة وقيمتها واخلاقها؟؟ .

انها معركة أنتصار القيم العربية الاصيلية، لذلك كان لا بد ان تلامس اعماق الجماهير في كل قطر عربي، وان تكون هذه الطلائع المتدفقة على المعركة من المتطوعين العرب، المتوافدين من هذا القطر وذاك طلائع مدّ قومي عارم جديد. فالتجاوب القومي أمر حتمي لا بد ان يأتي، ولا بد ان تصل المعاني القومية لهذه المعركة، الى وعي الجماهير العربية، بالرغم من العوائق المصطنعة، التي توضع من قبل الجهات الاجنبية المعادية، والانظمة العربية المدعورة. . بل ان هذا التعويق المفتعل وهذه الحواجز المصطنعة التي يراد بها محاصرة الروح الجديدة، والحيلولة دون أنتشار أشعاعها، قد كان له دور في تعميق المعركة وأنضاجها. اذ كان

على العراق ان ينهض بالاعباء معتمداً على نفسه، وان يستخرج من قوته الذاتية المتصلة بروح الامة، وبالمبادئ القومية ما يجعل منه في هذه الفترة، بديلاً حقيقياً فعلاً عن الامة كلها، فكون العراق عميق الصلة بالقومية العربية، وبالنهضة القومية، وكذلك بأمجاد الامة، وبأروع صفحات تاريخها في الماضي فانه أستطاع ان يجعل من تجربته الثورية ومن معركته بداية حقيقية لحالة نهوض قومي شامل. . ان شعب العراق اذ يقبل على المعركة بهذا الاندفاع العميق الصادق فلانه يرى فيها صورة المستقبل الذي يطمح اليه، مستقبل الامة العربية، وليس مستقبل العراق وحده، المستقبل الذي يكون فيه الشعب كله مشاركاً في صنع مصيره. وقد جاء هذا الاندفاع نتيجة اكتشاف الشعب للقيادة المعبرة عن أمانيه، والتي توضح له يوماً صورة مستقبله، وقدرته اللامحدودة على صنع هذا المستقبل.

فالعنصر القيادي الفذ في شخصية الرفيق صدام حسين كان الشيء الجديد والعامل الحاسم في وحدة الشعب وأندفاعه، وفي تحقيق النصر وادامة روحه، وكان المفاجأة الرائعة لشعب العراق وجماهير الامة العربية التي ترى فيما تحقق في العراق الصورة الصادقة للحياة العربية كما تحفظها ذاكرتها القومية عن الماضي المجيد، وكما تطمح اليها في العصر الحديث.

ان تجربة العراق تجربة قومية وحدوية، وما من نهضة تتحقق في قطر عربي، وما من ثورة جديّة الا وتشكل الوحدة أساسها. كما ان التراجع والتردي والانتكاس والعجز، هي نتائج حتمية للانعزالية القطرية والابتعاد عن الأفاق القومية الوحدوية، فالوحدة تبدأ مع حالة النهوض، تبدأ من وحدة الشعب في داخل القطر، تبدأ من حرية الشعب، لذلك فان الذين يبذرون الفرقة والانقسام داخل أقطارهم، ويسلطون الارهاب على الشعب، لا يعرفون طريق الوحدة. ثم ان الوحدة حالة قوة، وفيض من قوة، قوة العقيدة، وقوة الشعب المؤمن بالعقيدة، قبل ان تكون سبيلاً الى القوة. وهي ليست تعويضاً عن نقص او ضعف او سترأ للضعف لذلك كان الاخفاق من نصيب المحاولات التي تذرعت بهدف الوحدة، وتلاعبت به من اجل تقوية النظام الذي يعاني انتكاسة أو ازمة داخل القطر، لذلك ربط الحزب بين الوحدة والنهضة، كما

ربط بين الوحدة والمعركة، ودعا منذ سنين وبصورة خاصة على أثر هزيمة حزيران، الى الوحدة المقاتلة، فالعدو الصهيوني ومن ورائه الامبريالية، كان يستشعر دوماً الخطر، بل ويصاب بالهلع عندما يفاجأ بحالة نهوض في جزء من أجزاء الوطن العربي، لانه يدرك حتمية تحول النهوض الحقيقي، الى حالة قومية، اي الى وحدة نضال، ومعركة تحرير، كما انه لم يابه لما اسموه بمشاريع وحدوية، والتي ولدت مينة وكانت مجرد محاولات خادعة لتغطية العجز ولتخدير الشعب . .

لاشيء يفاجيء العدو، ويدحر مخططاته، سوى مفاجآت الامة لذاتها، فكلما نضبت مرحلة من مراحل النهوض القومي، وتعرض وجود الامة ومصير قضيتها للخطر الجدي، فاجأت الامة نفسها بظهور مستوى جديد، وتميز في النضال المعبر عن روح النهضة العربية. هذا ما يؤكد تاريخ العقود الاربعة التي انقضت، وها هي المفاجآت القومية على الحدود الشرقية تعلن اليوم عن نضج تجربة قومية ثورية، تفتح ابواب مرحلة جديدة للعمل الوحدوي الذي تصنعه وحدة الدم العربي على أرض المعركة القومية.

يا أبناء شعبنا العربي

لقد أدرك البعث مبكراً، حقيقة أساسية وهي ان قيام الكيان الصهيوني، بدعم من الامبريالية والقوى العالمية، قد فرض على العرب مستوى جديداً من المعاناة والصراع، فالعدو الصهيوني منذ ان أصبح له موطىء قدم على أرض فلسطين، بات ينظر الى استقلال اي قطر عربي، والى تطوره الاقتصادي والاجتماعي، ونهوضه الثقافي، حتى في اكثر الاشكال أعتدالا على انه تهديد جدي لوجوده. وعلى هذا الاساس فقد تقدم البعث، تيار النهضة العربية لينبه الى السلاح الوحيد المتكافىء مع التحديات الجديدة: سلاح الوحدة، سلاح النهضة ووحدة النضال العربي. ثم جاء الدور البطولي لعبد الناصر، فكان أوسع وأعمق من حدود التجربة القطرية، حملته موجة التأييد الشعبي لمواقفه التحررية، وبخاصة بعد العدوان الثلاثي، الى الالتحام بالمد الجماهيري الوحدوي في الوطن العربي، والذي بلغ أوجه في سورية بقيادة البعث، فكانت الثمرة الوحدوية الاولى، بقيام وحدة سورية ومصير.

وهكذا جاء الرد الشعبي على النكبة، بعد عشر سنوات بقيام أول وحدة في العصر الحديث، فكان هذا الحدث الضخم مفاجأة وتنبهاً عنيماً للاستعمار والصهيونية، استدعى ان يبدأ في محاربتهم لتيار الوحدة العربية، مستوى جديداً يقوم على التخطيط الشامل والتآمر المتعدد الحلقات والاساليب. فقد أستغلا جملة ثغرات في تطبيق وحدة ١٩٥٨، ونجحوا في ضربها بمؤامرة الانفصال، التي أعطت للتجزئة معنى جديداً، فلم تعد حالة منفعة، واستمراراً لوضع راهن، بل اصبح الانفصال وما يزال، حالة هجومية عدوانية متحركة، ولم تعد الامبريالية والصهيونية ترضيان من عملائهما ان يمتنعوا عن التوجه الى الوحدة، بل يطلبان منهم الحرب على الوحدة والتهديد بالحرب، والضغط بشتى الاساليب وانواع التآمر، حتى وصل الامر بالسادات ان قطع صلته بالاقطار العربية، وتحالف مع عدو العرب والمصير العربي. فقد كان الانفصال مدخلا للاعداد ولقوى الردة، للتآمر ضد التوجه الوحدوي، وعلى نهضة الاقطار التي تستنبت الوحدة، ثم على القيادات الوجدوية التاريخية في تلك الاقطار.

فقد تركزت المخططات المعادية، الداعمة للانفصال على الحيلولة دون تجدد اللقاء بين البعث وعبد الناصر، وضرب كل أمكانية لتجديد الوحدة، بايقاع نكسة داخل تجربة البعث في سورية، وفي داخل تجربة عبد الناصر، واعداد بديل من داخلهما للانقضاض على دورهما القومي، وضمن هذا السياق، جاءت ردة شباط ونظام حافظ اسد، وكذلك ردة السادات في مصر. وعندئذ جاء طراز من الانظمة، خلقت حالة من الترددي القطري والانحراف القومي والعودة الى التبعية بصيغ جديدة، تتجاوز حدود التبعية السياسية الى الاستعانة بالمخططات الدولية ضد الروابط القومية، وضد جماهير الشعب داخل القطر، وبالعزلة القومية، الى حدود الموقف الشعبي المعادي للعروبة.

وهكذا وصلت الاوضاع العربية في ظل هذا المنحدر الخطير، الى حالة من الترددي، لم يعد يمكن الخروج منها، الا بعمل بمستوى بطولي مؤهل لاستعادة المعاني القومية والروح المبدئية النضالية، التي ميزت ثورات البعث وعبد الناصر

والجزائر والمقاومة الفلسطينية . . وتجديد تلك المعاني واحصائها . .

ان بوادر النهوض الجديد في المرحلة القومية تتجلى حيث المعاناة النضالية للجماهير في الاقطار العربية، تعبر عن نفسها اليوم بمستويات جديدة، وتقتلع او تنهياً لاقتلاع الحواجز، أمام طريق وحدة النضال العربي . . فالشيء الايجابي البالغ الاهمية الذي حصل في مصر، هو ان القضاء على السادات، من قبل عناصر وطنية من ابناء شعب مصر، قد عبر عن صمود شخصية الامة وحضور ارادتها، كما ثبتت ورسخ الفشل الذي مني به السادات وسياسته، وأفسح المجال نحو تطوير يحتاج الى كل ثقل الامة، لكي تعود مصر الى توازنها، وتمحو آثار الارتباطات التي ورطها فيها السادات، لكي تعود الى قدرها العربي الوحدوي بعد تلك الفاصلة المحزنة . ولكنها عودة ينبغي ان تستوعب كل معاني الدرس المؤلم، وان تنتقل بمصر انتقالاً جريئاً نحو مرحلة متقدمة فكرياً وعملياً في ممارسة الدور الذي يليق بمصر وتاريخها ونهضتها وتضحيات شعبها العظيم . فشعب مصر واحزابها الوطنية المناضلة، هي اليوم اشد صلابة وتمسكا بوطنيتها وعروببتها، واقدر من ذي قبل على الاضطلاع بمتطلبات الدور الجديد لمصر العربية التي تحمّلت اكبر عبء من التضحيات في سبيل فلسطين والقضية العربية، بالرغم من انها اقل الاقطار حظاً من الثروة العربية . . فعودة هذا القطر العربي الكبير، الى الالتحام بقدره العربي الوحدوي هي عودة حتمية، وهي تبرهن للعرب ان قدرهم هو الوحدة، وان تبنيهم لهذا القدر، يقودهم الى النصر، وتراجعهم عنه يؤدي الى الفشل القطري، والانهيال القومي . .

وفي الارض المحتلة، تشتعل في الضفة الغربية وقطاع غزة انتفاضة شعبية جديدة، هي انتفاضة روح الشعب والمبادئ، في وجه العدو المصيري، كما انها تدعم المقاومة الفلسطينية التي طوقتها الانظمة المستسلمة، وأخضعتها لمختلف الضغوط لكي تتراجع عن المواقف الصلبة المعبرة عن روح فلسطين وقضيتها القومية، فلا تقوم بدورها المطلوب كرائدة للوحدة بل تنقلص عند أطوارها القطري، وتتأرجح داخل أطار المساومات الدولية . فهذه الانتفاضة الجديدة الرائعة تأتي اليوم لتغذي روح المقاومة وتصلب عودها، ولتعبّر عن ثقة الجماهير العربية بنفسها . فهي

صوت يتكامل مع صوت المعركة القومية في العراق، فهي الامة العربية وقد نضجت ملامح انتقال نضالها، بعد معاناة قاسية طويلة، الى مرحلة نهوض جديد.

وقد كان القطر السوري، الموقع الاشد إبلاما في تلك المعاناة القاسية، فالردة في القطر السوري، أستهدفت ضرب حزب الوحدة، وكانت تشويهاً لتاريخ سورية، الذي تميّز بالدور القومي الطبيعي، وبالتآخي الوطني، والنضج السياسي والاجتماعي الذي أهل سورية لان تكون رائدة في النهضة العربية، وان تحمل شعل القومية والوحدة. فقبل ايام، سارت سورية العربية في موكب تشييع شيخ المجاهدين الزعيم سلطان الاطرش، القائد العام للثورة السورية، وليست أشك في ان روح الامة العربية، كانت في ذلك اليوم، تملأ سماء سورية، تذكر أبناءها بالقيم العليا من خلال النماذج الانسانية التي جسدت هذه القيم في فترات مضيئة من تاريخ امتنا، والتي كان سلطان الاطرش واحداً من أصدقها وأقواها تعبيراً عن أصالة الشعب العربي، ففي تلك الفترة الخالدة من تاريخ سورية، وفي تلك الاجواء النقية الصافية نشأت البذور الاولى للبعث، بذور الثورة على الاستعمار وطغيانه، ومن اجل استقلال الوطن وكرامته، ومن اجل العروبة وشرف الانتساب اليها، ومن اجل تحرير كل الارض العربية في مشرق الوطن ومغربيه.

ولكن الاهم من ذلك بالنسبة الى بذور فكرة البعث، التي كانت ارض سورية العربية، موطنها الاول، هو ان تلك الفترة الملائم بأخبار الجهاد والبطولة والاستشهاد، القوية الالهام والتأثير في حياة الشعب وحياة الافراد، كانت بداية لقائين حاسمين في اثرهما العميق: لقاء مع الفكر العلمي العقلاني التحرري الحديث، ولقاء مع الاسلام العربي ورسوله الكريم، لقاء الحب والاعجاب والانتماء الحميم، وكان ذلك قدر عمر بكامله، وقدر حركة قومية اصيلة تاريخية. ان تلك البذور الطيبة هي التي اثمرت فيما بعد، حركة البعث العربي التي انطلقت، قبل اكثر من اربعين عاما، من تصور ثوري حضاري لمستقبل الامة العربية.

ولم يخب الرجاء في الامة الاصيلة والشعب النجيب فوجدت هذه الافكار في العراق صورتها الصادقة بين شبابه المناضلين الاوفياء الميامين، الذين يكتبون اليوم

بدمائهم على جبهات القتال، اروع صفحات الخلود، يحوزون بها رضا التاريخ المجيد، وينون المستقبل العربي الصاعد. . وحيث الشعب العظيم والحزب المناضل والجيش الباسل، والقائد البطل، يعيشون حالة توافق وأنسجام وحب، وتجرد، وعطاء، وتسام في التضحية.

هذه هي الصورة التي حلم البعث منذ نشوئه ان يبلغها ويحققها، وهي في قناعته شيء خالد لا يفنى ولا تتال منه أسلحة الاعداء لانها وعي وتربية وشعور اديد بالحياة وادراك لمعناها العميق، ولانها روح، اي طاقة لا بد ان تنتشر وتؤثر، وهي التي انطلقت من الامة، لا بد ان تكون الامة مرجعها ومآلها ومجال أنتشارها وتأثيرها. ولكن ماذا أصاب تاريخ سورية، وروح سورية، والحركة التاريخية التي عبرت عن دور سورية التاريخي في نهضة الامة؟ ماذا أصاب شعب سورية على أيدي المتسلطين، الذين حاولوا ان يشوهوا كل شيء؟.

لقد أغتصبوا السلطة بالتآمر والسلاح الغادر وظنوا انهم يستطيعون اغتصاب الحزب، بروحه وفكره وتاريخه الطويل، وزجوا بنصف جيش هذا القطر لمحاربة الشعب، دمروا المدن والقرى والمنازل على ساكنيها، كما حدث مؤخرا في مدينة حماه المجاهدة المنكوبة، وكما حدث من قبل لحلب وجسر الشغور وغيرها من المدن، ووصلوا الى الدرك الاسفل في تعاملهم مع الشعب وفي علاقة الكره والحقد، وفي ممارسة القتل الجماعي والاجرام اليومي، وفي العدوان على قيم الشعب الروحية وعلى ابسط القيم الانسانية. ولم يجدوا مخرجا من ازمتهن الخانقة غير الارتماء في الخيانة السافرة، التي لم يعرف التاريخ القومي لها مثيلا في فظاعتها. يتحالفون ويقاتلون الى جانب حكام ايران الرجعيين المتخلفين والعنصريين الحاقدين على العرب، ضد العراق وجيش العراق العربي الذي أنقذ دمشق من السقوط في حرب تشرين.

ان هؤلاء الذين قطعوا الصلة الحية بروح الشعب وتاريخه الوطني وبأهداف الامة، واصبح أستمراهم في السلطة لا يضمن الا بتقتيل ابناء الشعب بعشرات الالوف، والتفريط بحقوق الامة وارض الوطن. ان هؤلاء الذين يتخلون عن تحرير

الجولان ، ويساومون على قضية فلسطين ، والذين اصبحوا يتصرفون وكأنهم يحتلون بلداً اجنبياً معادياً ، لاتصله بهم صلة او نسب . . لا بد ان يلقوا مصير المحتلين الذين كانت سورية العربية أول قطر عربي قد لفظهم وحقق الحرية والاستقلال . فالسلاح الذي يسلطه نظام حافظ أسد على جماهير سورية لا يستطيع ان يتغلب على السلاح التاريخي ، الذي كانت له الغلبة دوماً ، وهو نضال الشعب ضد الظلم ومن اجل الحق ، والذي يعلن انتصاره اليوم من خلال معارك المقاتلين : أبطال العراق وأبطال شعبنا العربي في الارض المحتلة ، امام العدو الصهيوني والنظام المعادي في ايران . .

يا أبناء سورية العربية الحبيبة

ان محتكم هي محنة الامة ، وجرحكم هو الجرح الكبير ، ولكن المؤامرة على تاريخ سورية وروحها الوطنية القومية التقدمية ، المؤمنة ، مهما تكن كبيرة فان قدر هذه الامة هو الانبعاث ، وقدركم ان تكونوا رواداً تاريخيين في نهضة الامة عندما توحّدون نضالكم ضد هذا النظام الذي تنكر لكل القيم الاصيلية ، كما تحقق ذلك في البداية المباركة التي اثمرت في الفترة الاخيرة تحالفاً وطنياً ، مستوعباً لآلام سورية متطلعا نحو مستقبل قريب ، يتخلص فيه هذا القطر المناضل من عوامل النكسة ، التي أصابت دوره القومي ، وينهض من جديد لمتابعة رسالته النضالية .

انكم ايها الابناء تواجهون نضالاً شاقاً ، ولكنكم بهذا النضال ، تزيحون عن كاهل الوطن ، نظاماً فاسداً ضالماً في الانحراف مرتداً ، أصاب في الصميم روح الانبعاث والنهضة في الامة . .

ان أنقاذ سورية ، وأستعادة دورها القومي ، ومعالجة الجروح العميقة التي خلفها هذا النظام في جسد هذا القطر ، وفي لبنان ، هو ايضا مسؤولية قومية ، فعودة سورية العربية الى دورها التاريخي الاصيل ، ضرورة حتمية ، لكي يأتي النهوض الجديد للامة ، معبرا عن ارادة التصحيح العميق والشامل للاوضاع العربية الراهنة ، وعندئذ يأتي المغرب العربي بكل ما فيه من طاقات قومية ، وامكانيات للشورة وللنهضة أبعدها العزلة عن حرارة المعاناة القومية . وحالت دون تفجّرها . فالانكفاء القطري ، الذي

استغلته الاتجاهات الانعزالية القطرية، لتشجيع ظهور النزعات العنصرية،
والمواقف السلبية من العروبة والثقافة العربية، قد كان تعبيراً عن نكسة داخلية،
وأبتعاد عن الرابطة القومية الوجدوية.

فتورة الجزائر، التي أيدتها الامة العربية، والتي كان متوقفاً لها ان تكون عنصر
إحياء للنضال الوجدوي، لولا ملاسبات قومية وقطرية أبعدتها عن هذا الدور، لابد ان
يكون لقطرها موقعه القومي اللائق بثورته، جنباً الى جنب مع الاقطار الاخرى
للمغرب العربي، وقواها الوطنية، وحركاتها الثورية، وشعبها العظيم.

يا أبناء امتنا العربية

ان معركة العراق اليوم، تشكل التعبير المتكامل الابعاد، عن بدء هذه المرحلة
الجديدة في مسيرة الامة النضالية، انها البداية الجديدة، بداية النضج، بداية الاثمار
والعطاء، انها حالة داخلية منبثقة من روح الانبعاث الجديد في الامة العربية وهي
تتجلى في أروع صورها في العراق، انها حالة أختمار وتفجر داخل الوطن الكبير،
تعمل داخل كل قطر، وفي كل فرد، وتتعدد أشكالها وتعبيراتها حسب الظروف
وخصوصيات الزمان والمكان، ولكنها كلها، تعبر عن روح واحدة، وتقرب من
مستوى النضج الانبعاثي وتشير الى اتجاه واحد، هو الوحدة. لذلك فلا توجد قوة
تستطيع ان تعزل معركة العراق عن الجماهير العربية، والواقع العربي، فهي من
صميم روح الجماهير واراقتها، كما انها رد على هذا الواقع، وتعويض عنه، وفتح
باب الخلاص امامه، لكي يخرج من أزماته وأمراضه، وشلله وتناقضاته. فالوعي
الجديد للوحدة، اي التصور الحي لها، يتطلب ويشترط الصلة الحية بالمعاناة داخل
كل قطر، وبمعاناة الامة كلها. فالنمو الذاتي داخل القطر، المستند في انطلاقته الى
بواعث وحدوية، والمتطلع الى آفاق وحدوية لابد ان يؤول الى التضامن والوحدة،
وعندئذ يصبح التضامن العربي الصادق صيغة من صيغ الوحدة، فالمهم هو روح
النهوض، لان التضامن ذاته، اذا اريد له ان يكون فعالاً، لابد ان يقوم على تطوير
الاوضاع القطرية، وخلق حالة النهضة. ولاشك في ان مشاركة الاقطار التي
استجابت لنداء معركة العراق، قد فتحت امامها الطريق لتطوير اوضاعها الداخلية

باتجاه الوحدة الوطنية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ودعم الاستقلال في وجه النفوذ الخارجي . فتفاعل اقطار الاردن واليمن التي انسجمت أنظمتها مع اندفاع جماهيرها، في توجه واحد نحو المعركة، لا بد ان تدعم روح النهوض، وتعزز التضامن، وتساهم في خلق شروط حية للاقتراب من الوحدة. فلولا أنعدام التضامن العربي الجدي، لما قامت هذه الحرب العدوانية على العراق، ولولا حالة التردّي والاستسلام، لما وصلت غطرسة العدو الصهيوني الى هذا الحد من الصلف .
فالمعركة اذن، تطرح اليوم الحاجة الى التضامن العربي الفعال، المستلهم من الحاجة الى النهضة والوحدة، حتى يوضع حد لهذا العدوان المتكرر والخرق على الحدود الشرقية، ويتفرغ العرب لعدوهم المصيري الصهيوني .

يا أبناء العروبة البواسل

يا أبناء العراق الابطال

بعد اكثر من ستة ونصف السنة من الحرب، واكثر من ثلاث سنوات على قيام الحكم الجديد في ايران، وبعد ان انكشفت عقلية النظام القائم فيها، فقد آن للقيادات والاجيال العربية الواعية المقدّرة لمسؤوليتها التاريخية، ان تقول كلمتها في هذا النوع من العقلية، وان تقف موقفاً مسؤولاً يعبر عن عمق انتمائها الى حركة النهضة العربية. فطريق التقدم العربي مستوعب لجوهر الاسلام، وحريص عليه حرصه على أئمن شيء في عروبه، وهو ايضا متفائل بنهضة الشعوب الاسلامية، وبلقائها الطبيعي مع الامة العربية ونهضتها الحديثة. . اما التستر على عنصرية النظام المعادي للعروبة في ايران، وعلى اغراضه التوسعية، ورجعيته وتخلفه، وتعاونه مع الكيان الصهيوني، من قبل الحكام والسياسيين والفئات التي ما تزال تدافع عن هذا النظام، وتنسب اليه الثورية، فلا يمكن ان يوصف بغير الانتهازية والاستغلال، وتنفيس الاحقاد والتآمر الذي يبلغ حد الخيانة على امّتهم. هؤلاء نتركهم لحكم التاريخ وحساب الشعب لهم. . . ويكفي ان معركة العراق قد كشفتهم، وفضحت تأمرهم .

ولا شيء يمكن ان ينال من انتصار العراق، الذي يمسك بأسرار القوة والنصر،

ويستمد قوته كطليعة للنهضة العربية، من جماع امكانات الامة وحوافزها للمستقبل .
وسيقى جيش العراق يواصل انتصاراته حتى يحصل اللقاء الحار العميق الواسع بين
روح النهوض المتجسدة في معركة العراق، وبين الاستعداد الاصيل للنهوض،
الكامن والمتحفز في عقل وضمير كل فرد من ابناء العروبة .

تحية لشهداء البعث والامة العربية، ومجداً للشعل المضيفة: شهداء معركة
العراق، الذين فتحوا صفحة جديدة في سجل الخلود العربي، وجسدوا مستوى
جديداً للبطولة في حياة الامة . .

تحية لشعب العراق، منبع البطولات، ومنبت المرؤات، والحامل الامين لقيم
الاصالة العربية .

تحية لقائد النصر، الرفيق العزيز صدام حسين .

تحية لجيش العراق، حامل راية النصر المؤزر، جيش الرسالة العربية، الذي
تفانى في دفع الاخطار والشروع عن الامة العربية وشخصيتها ومستقبل نهضتها .

تحية للجيش الشعبي الذي اصبح حقيقة بارزة من حقائق هذه التجربة الثورية
الناضجة، وحقق صورة الشعب المقاتل، المسلح بالايمان والثقافة والبندقية .

تحية للمرأة العراقية التي تشق طريق التحرر السليم امام المرأة العربية، من
خلال النضال وتهيئة عوامل الانتصار الدائم للمعركة، وتعزيز قيم البطولة والشهادة .

تحية للمتطوعين العرب الذين يرسمون بتفاعلهم مع المقاتلين من ابناء العراق،
مستقبل الوحدة المقاتلة .

عاشت الامة العربية .